المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فنفتحهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من أصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

فصل الخطاب

في البحث عن حقوق النساء

ارى سيدتي الكريمة احدى قارئات المقتطف تحاول التشبُّث بحبال الهواء دفاعاً عن مذهب تنقضهُ الطبيعة ونواميسها والاديان وآياتها وشرائع الامم واحكامها والتاريخ وحوادثهُ والخبرة اليوميَّة وعبرها. ألا وهو الاعتقاد "بان النساء يستطعن القيام بكل ما يقوم بهِ الرجال من الاعمال" ومن ثمَّ "لهنَّ كل ما لهم من الحقوق"

ولقد اذهلني ما فرط من حضرة مناظرتي في رسالتها المدرجة في جزء المقتطف الاخير من الادعاء بان "نجاح النساء في كل اعمال الرجال امر شائع شيوع الهواء والماء" وان "الفرق الموجود بين الرجل والمرأة من حيث جرم الدماغ يمكن ان يزول اذا تساوت بينهما شروط التربية" وان "عدد الكاتبات يكاد يساوي عدد الكتَّاب في اوربا واميركا". وغير ذلك من الاقوال ألَّتي تعدُّ غلوًّا وشططاً. كما سابين في سياق هذه الرسالة

ثم انني كنت قد عوَّلت في مقالاتي السابقة على الطريقة ألَّتي يدعوها المنطقيون التركيب اي النظر الى مجموع القضيَّة في اجزائها. وهي الطريقة المتبعة في المسائل العلميَّة. غير اني ارى مناظرتي الكريمة تفضِّل الطريقة المدعوة التحليل اي النظر الى اجزاء القضية في المجموع. وهي الطريقة المعول عليها في المسائل التعليميَّة. فلا بأس ان اقتدي بحضرتها. ولذلك جعلت هذا الرد بهيئة سؤالات وجواباتها بحيث ضمنتها كل اجزاء البحث نظريَّة كانت او نقليَّة واردفت كل جوابٍ بدحض ما اوردتهُ سيدتي الكريمة من البراهين ألَّتي ظنتها مفحمة وهي اوهى من خيط العنكبوت

فاقول ان مرجع البحث الذي نحن بصددهِ هو " هل للنساء كل ما للرجال من الحقوق " وقد انتقلنا من هذا البحث الى مسألتين اخريين . الاولى نظريَّة وهي " هل تستطيع النساء القيام بكل ما يقوم بهِ الرجال من الاعمال " . والثانية نقليَّة على قول مناظرتي وهي " هل استطاعت النساء القيام بكل ما قام بهِ الرجال من الاعمال "

ولا يخفى ما بين هذه المباحث الثلاثة من العلاقة . فانهُ لا يصح اعطاء النساء كل حقوق الرجال ما لم يستطعن كل ما يستطيعونهُ من الاعمال . وقد ابنت ذلك بالاسهاب الشافي في الجزء الخامس من المقتطف

وكنت قد اكتفيت في مقالتي الاولى عن حالة المرأة في الالفة الزوجيَّة بالبحث عن المسألة النظريَّة . ولم اكن لاتعرض للمسألة النقليَّة التي هي اجلى من نار على علم ولا يصح فيها جدال او مغالطة (على ما ذكرتهُ حضرة مناظرتي) لو لم تدَّع حضرتها في الجزء السادس من المقتطف الصفحة ٤٤٤ " بان الشائع العام في بعض البلدان القضية ان المرأة تقوم بجميع الاعمال . وان الرجل يكاد لا يعمل عملاً غير تدخين التبغ " . فلا غرو ان ابتدي في هذا الرد بالبحث عن هذه المسالة النقليَّة وهي :

هل استطاعت النساء القيام بكل ما قام بهِ الرجال من الاعمال

وقبل ان اجيب عن هذا السؤال ارى من الضروري ان انبه مناظرتي الكريمة على قاعدة منطقية نسيت عنها . وهي ان الموضوع في القضايا الكليَّة الادبيَّة لا يطلق على كل الافراد الدال هو عليها ولا على بعضها بل على اغلبها . ومن امثال ذلك :

اذا قلنا " ان المرأة ارقُّ قلباً من الرجل " فهذا حكم صحيح ولو لم تكن كل النساء ارق قلباً من كل الرجال . ذلك لان كلمة " المرأة " في القضيَّة تطلق على اغلب النساء لا على كلهنَّ . واغلب النساء يفقن الرجال حقًّا برقة القلب . وكذلك اذا قلنا " ان الرجل اقوى بنية واشجع قلباً من المرأة " فهذا ايضاً حكم صحيح ولو كان بعض النساء يجارين الرجال في البأس والجراءة . وذلك لان كلمة " الرجل " في القضيَّة تطلق على اغلب الرجال . وفي الواقع اغلب الرجال يفوقون النساء في صلابة الاعضاء وشدَّة القلب

فاذا تقدم ذلك اقول انهُ لا يصدق الحكم بان النساء استطعن القيام بكل اعمال الرجال الاَّ اذا ثبت ان اغلب النساء قمن بكل ما قام بهِ الرجال من الاعمال . وهذا ما تنقضهُ تواريخ الامم القديمة والحديثة وخبرة الايام التي نحن فيها

وعليهِ اذا راجعنا اخبار الامم منذ العهد الاول للتاريخ البشري لغاية عصرنا الحاضر

نرى الرجال قد انفردوا عن النساء في كل الاعمال العظيمة العقليَّة واليديَّة . فهم الذين شادوا الممالك وبنوا القلاع الحصينة وفتحوا البلاد وسنوا القوانين ووضعوا كتب الاديان والفوا التآليف الفلسفيَّة الدقيقة واخترعوا الآلات الصناعيَّة والزراعيَّة والحربيَّة . ولم يكن للنساء في ذلك من نصيب سوى الانقياد للرجال واتباع خطواتهم في كل الامور الدينيَّة والدنيويَّة والماديَّة والاديبيَّة . اما ما انفرد به بعضهنَّ من القيام بشيءٍ من هذه الاعمال العظيمة فما لا يذكر بجانب ما قام به الرجال منها . ولا يصح عقلاً ان ننسب لاغلب النساء ما قام به بعضهنَّ . ولو كان هذا البعض "غير مقتصر (كما ذكرت مناظرتي الكريمة) على واحدة او اثنتين او عشر او مئة " قلت او الف او عشرة آلاف

واني لاستغرب ذكر حضرتها اعمال النساء اَلَّتي تعلَّمها الرجال من نحو الخياطة والطبخ وتدبير المنزل وقولها " ان قلة عدد الطباخين والخياطين والفراشين من الرجال لا تدل على انهم لا يستطيعون ان يعملوا اعمال النساء " فاذا يا ترى تعني بقولها هذا . واي دخل لذكر هذه الاعمال الحقيرة في مقام البحث الذي نحن بصددهِ على ان حضرتها قد تهوَّرت بقولها هذا في احدى القياسات السفسطيَّة اَلَّتي كثيرًا ما يستعملها المناظرون عند ما يضيق بهم المجال في الدفاع عن مذهب واهي الدعائم . وتقوم هذه السفسطة بان يفترض المباحث في بحثهِ حقيقة القضية المطلوب اليهِ اثباتها لا افتراضها . وبيان ذلك ان سيدتي الكريمة قصدت بقولها هذا الاستدلال على استطاعة النساء القيام باعمال الرجال من استطاعة الرجال القيام باعمال النساء وذلك لا يصح الاَّ اذا افترضنا مساواة قوى الرجل وقوى المرأة وهذا هو موضوع البحث المطلوب الى حضرتها اثباتهُ لا افتراضهُ

وجملة القول ان من يستطيع الاعظم يستطيع الاقل ولا يعكس . ومن ثم كان الواجب على حضرة مناظرتي ان تثبت ان النساء يستطعن القيام باعظم ما يقوم به الرجال من الاعمال لا باقلها

وبناء على ما تقدم ارى حضرتها قد اكثرت الكلام بدون طائل في رسالتها الاخيرة حيث افردت فقرة على حدتها لكلٍّ من اعمال الزراعة والتجارة والكتابة والتحرير والطب . ولولا خوفها الاطالة لاسهبت في الكلام عن التعليم والتصوير والغناء والنقش والحياكة

فما من احد ينكر ان كثيرات من نساء الفرنجة مثلاً يتعاطين في السهول اعمال الزراعة وفي المخازن اعمال التجارة وفي المعامل اعمال الصناعة وفي المكاتب اعمال التحرير .

غير ان ذلك لا يعد اعظم ما يقوم بهِ الرجال من الاعمال . ولو اقتصرت حضرتهُ على ذكر عدد النساء اللواتي برعن مثلاً في العلوم الفلسفيَّة الدالة على ذكاء العقل وقوَّة النفس او في الاعمال الجهاديَّة الدالة على قوَّة البنية ونشاط العقل لكان في استشهادها هذا برهان يثبت مدعاها . ولكن من اين لها ذلك وعدد النساء اللواتي أتين شيئاً من هذه الاعمال اعزّ من بيضة الديك

فنتج مما تقدم ان القول بان النساء استطعن القيام بكل ما قام بهِ الرجال من الاعمال غير صحيح معنىً ووزناً ومناقض لما جاء بهِ التاريخ من اخبار الامم الغابرة والحاضرة وما تنبئنا بهِ الخبرة اليوميَّة

المسألة الثانية " هل تستطيع النساء القيام بكل ما يقوم بهِ الرجال من الاعمال " هذه مسألة نظريَّة يتوقف الجواب عنها على مقابلة قوى المرأة بقوى الرجل عقلاً وجسماً ومعرفة ما اذا كان يوجد بينهما فرق بهذا المعنى وان كان يوجد فرق فهل هو طبيعي تستحيل ازالتهُ او عارض يزول بزوال الدواعي المسبب هو عنها

فاذا راجعنا ما جاءت بهِ حضرة مناظرتي بهذا الشأن نراها مضطربة الافكار غير جازمة الرأي تراوح بين السلب والايجاب . فقد قالت في الجزء السادس من المقتطف الصفحة ٤١١ ما حرفيتهُ "لا انكر انهُ يوجد فرق طبيعي بين المرأة والرجل غير ان هذا الفرق لا يستدعي ان يكون الرجل اذكى عقلاً من المرأة واحزم رأياً واربط جاشاً اذا تساوت وسائطها في التربية » ولا يخفى ما في هذا القول من الابهام بل من التناقض . وعليهِ فاذا كان هذا الفرق الطبيعي الذي اقرَّت بهِ مناظرتي الكريمة لا يستدعي ان يكون الرجل اذكى عقلاً من المرأة اذا تساوت بينهما وسائط التربية فهو يستدعي اذاً ان يكون الرجل اذكى عقلاً من المرأة ان لم تتساوَ وسائطهما في التربية . واذا قلنا ذلك فاما ان يكون تفضيل الرجل على المرأة في ذكاء العقل ناتجاً عن الفرق الطبيعي الموجود بينهما واما عن عدم مساواة وسائطهما في التربية او عن كليهما معاً . فان قلنا الاول انتفى ما قالتهُ حضرتها من ان الفرق الطبيعي لا يستدعي ان يكون الرجل اذكى عقلاً من المرأة وكذلك اذا قلنا ان هذا التفضيل ناتج عن الفرق الطبيعي وعدم مساواة وسائطهما التربية معاً . لانهُ يثبت حينئذ ان هذا الفرق الطبيعي اولاً ثم عدم مساواة وسائط التربية هما اللذان جعلا المرأة اقل ذكاء من الرجل . ومناظرتي الكريمة قد نفت الجزء الاول من هذه القضية . اما اذا قلنا ان هذا التفضيل ناجم عن عدم مساواة وسائط التربية فقط فلا

ارى ما الداعي لذكر الفرق الطبيعي هنا وهو لا دخل لهُ في كون الرجل اذكى عقلاً من المرأة . مع انهُ يستنتج من قول حضرتها ان هذا الفرق يستدعي ان يكون الرجل اذكى عقلاً من المرأة اذا لم تساوِ وسائطها في التربية كما سبق القول

على اننا اذا اعتبرنا حالة المولود والمولودة وهما في المهد نرى لاول وهلة الفرق العظيم الموجود بينهما خَلقاً وخُلقاً . وهذا الفرق يتعاظم يوماً فيوماً كلما تقدَّما في خطوات الحيوة ولو مهما تساوت بينهما التربية . تلك حكمة صمدانيَّة تدرب جنسي بني البشر منذ يوم ولادتهما الى الغاية الساعي اليهما كلاهما . وقد مهدت لهما السبيل للوصول اليها بما خصتهُ بكليهما من القوى العقليَّة والعمليَّة الباعثة عليها الواجبات والاعمال المفروضة عليهما

ولنفرض مثلاً اننا ندرب فرقة من الفتيان وفرقة من الفتيات في العلوم الجهاديَّة البريَّة او البحريَّة ونساوي بينهما في اعطائهما الدروس النظريَّة والعمليَّة المبلغة الى اعلى درجة التفقه في هذه العلوم بحيث يقتسمان شق الابلمة تمرُّناً وتروضاً . فما من عاقل يعتقد ان فرقة الفتيات تبلغ في اتقان هذه العلوم والفلاح فيها المقام الذي تبلغ اليهِ فرقة الفتيان . ذلك لان الفتيات غير مختص بهنَّ ان يدافعن عن الوطن وقت الملمات بل ان يلدن البنين المفروض عليهم الدفاع عنهُ . ومن ثم لم تعطهنَّ الطبيعة الاستعداد الفطري الضروري للقيام بمثل هذه الاعمال

ولقد عجبت كل العجب من قول حضرة مناظرتي بان الدليل الوحيد الذي اعتمدت عليهِ لابين عدم استطاعة المرأة القيام باعمال الرجل هو ان مهام الرضاعة والحضانة تفرض على المرأة ملازمة منزلها . فكيف لم تنتبه حضرتها الى البراهين العديدة الَّتي ذكرتها اثباتاً لهذه الحقيقة في جزئي المقتطف الخامس والسابع واخصها اعتقاد كل الامم المتفرقة على وجه البسيطة بضعف المرأة وقوة الرجل . وهذا البرهان يدعوهُ الفلاسفة " الحس العام " (sens commun) وهو اسد برهان يعتمد عليهِ في المباحث الادبيَّة

على اني أرى حضرتها قد اضاعت وقتها بضرب معدلات وهميَّة اشغلت نحو صفحة من المقتطف لتبين ان النساء المتزوجات لا يمتنعن عن العمل خارج منازلهنَّ الاَّ اربع سنوات وان هذه الاربع سنوات لا تزيد عن عشر حياتهنَّ الزوجيَّة . وقد اردفت ذلك بقولها " فهل يصح ان يمتنعن عن تجاوز حدود المنزل تسعة اعشار عمرهنَّ بجريرة هذا العشر الواحد "

فاقول ان مدة امتناع المتزوجات عن الاعمال خارج المنزل لا تقتصر على الستة

الاشهر الاخيرة من الحبل والستة الاشهر الاولى من الرضاعة كما ذكرت حضرتها بل تمتد مدة ثلاث سنوات فاكثر بعد ولادة كل مولود . فان البنين يحتاجون الى ملازمة الام لهم في المنزل لغاية بلوغهم السنة الثالثة او الرابعة من عمرهم كما يعهد ذلك كل صاحب عائلة . ولا اظن سيدتي الكريمة تحاول انكارهُ اذا كانت من المتزوجات

واني لادعو سيدتي الكريمة ان تجول نهارًا في المنازل شرقًا وغربًا . فهل تراها آهلة الاَّ بالاطفال والنساء . فاين ياترى نساء حضرتها اللواتي يقضين تسعة اعشار عمرهنَّ خارج المنازل

ثم اني لا اري وجه مقابلة حال الحبل والرضاعة بحال التجند في الخدمة العسكريَّة في البحث الذي نحن بصددهِ . فان انقطاع الجنود الى الخدمة العسكريَّة فرض مدني لا يجعلهم عاجزين طبعًا عن القيام باعمال بقية الرجال متى انقضت مدة خدمتهم في الجهاديَّة . غير ان انقطاع النساء الى الخدمة المنزليَّة فرض اوجبتهُ عليهنَّ الطبيعة وقد جعلتهنَّ غير قادرات على القيام بكل اعمال الرجال لئلا يلتهين بها عن القيام بواجباتهنَّ نحو ازواجهن واولادهن

فاتضح مما تقدم ان النساء لا يستطعن القيام بكل ما يقوم به الرجال من الاعمال

اما ما قالتهُ حضرتها بان الفرق الموجود بين رجال المتوحشين ونسائهم من حيث جرم الدماغ ووزنهُ اقل جدًّا من الفرق الموجود بين رجال المتمدنين ونسائهم وذلك مما يدل على انهُ محدث في هؤلاء ويمكن ان يزول اذا تساوت بهما بقية الفريقين منذ الطفوليَّة فاجيب عنهُ انني طالما استغربت ادعاء المادبين الذين يسلكوننا الى القردة بدعوى ان تدرجنا في سلم التربية والتهذيب مدة الوف من السنين هو الذي اوصلنا الى درجة الانسانيَّة الَّتي نحن فيها . غير ان ادعاء مناظرتي هذا ليس باقل غرابة من ادعاء المادبين وقد توسمت بينهما نوعًا من القرابة . فلعل حضرة مناظرتي من المتمسكين بمذهب النشوء والارتقاء وتحويل الانواع . فاذا كان ذلك كذلك فلا عجب اذا كانت حضرتها تعير للتربية قوة تستطيع ازالة الفرق الموجود بين الرجل والمرأة قدوةً بالمادبين الذين يعيدونها قوة قادرة على استئصال الحد الفاصل بين نوع القردة والنوع البشري . ومن ثم ليس لي سوى ان اعترف لها بقلب سليم باني ما زلت وان ازال اعتقد بان القردة قردة منذ يوم عرفنا فيهِ بها التاريخ الطبيعي . وهي منذ ذلك العهد لم تفقد شيئًا من صفاتها البهيميَّة كما انها لم تزدد شيئًا في درجة المفهوميَّة الغريزيَّة المفطورة عليها . وكذلك اعتقد بان الفرق

الموجود بين الرجل والمرأة من حيث الدماغ وغيره من الأعضاء هو هو ما دام الرجل رجلاً والمرأة مرأة

المسالة الثالثة : هل للنساء كل ما للرجال من الحقوق

لا ارى داعياً لاطالة الكلام عن هذه المسألة بعد ذكر كل ما تقدم في هذا الرد وفي المقالات السابقة . ومن ثم اكرر هنا بالايجاز المفيد ما قلتهُ آنفاً وهو ان النساء ليس لهنَّ ان يطالبنَ بكل حقوق الرجال الاَّ اذا كنَّ قادرات على القيام بكل ما يقوم به الرجال من الاعمال . وحيث قد اتضح مما سبق انهنَّ غير قادرات على ذلك فمطالبتهنَّ هذه تعدُّ لغواً وشططاً

واستأذن حضرة مناظرتي الكريمة في ختام هذه المناظرة ان اذكر ظناً خطر على بالي وهو ان حضرتها ربما لا تعتقد هي نفسها بما جاءت به من الأقوال المفرطة وان المعنى الذي نويتهُ في ما ذكرتهُ انما هو ان النساء لو تحسنت وسائط تربيتهنَّ لاستطعنَ القيام بكثير من اعمال الرجال الَّتي هنَّ عاجزات اليوم عن القيام بها . وان الرجال اغتصبوا كثيراً من حقوق النساء المفروضة لهنَّ طبعاً . فان كان ظني هذا في محلهِ فانا اول من يسلم لها بذلك . واود من صميم الفواد لو احسن الرجال السلوك نحوهنَّ وعاملوهنَّ بالقسط والانصاف . ولكن ما الحيلة وآفة الضعف ان يقيم الضعيف كسيراً ذليلاً . وشأن القوة ان تجعل القوي مستبدًّا عنيفاً . ذلك ناموس عمومي لا يخلو من فائدة حفظ التوازن بين الافراد . فالناس ما زالوا ولن يزالوا فئتين فئة هاضمة وفئة مهضومة . سند الاولى القوة ودعامة الثانية الضعف . وطلب المساواة بين اعضاء الهيئة الاجتماعيَّة في الحقوق ليس باقل خطر عليها من طلب مساواتهم في المال

يوسف شلحت

تشطير البيتين المدرجين في الجزء الماضي

لي حيلة في من ينمُّ — تصون اسراري الجليلة
حفظ اللسان بما يهمّ — وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول — فداؤهُ يؤذي خليلة
ودواؤهُ صعبٌ يطول — فحيلتي فيهِ قليلة

مصر سليمان صوله

تفسير البيت

تفسير قولهِ ما مان ماني الخ مان كذب ومانيٌ النبي الذي علّم بوجود الهين اله النور واله الظلمة جعل الشاعر ذلك تمهيدًا لما وصف بهِ الموصوف من شدة فتكهِ بسواد شعرهِ كأنهُ قال ان الشعر الاسود يتسلط على العقول تسلط اله الظلمة في مذهب ماني

مصر احد القراء

بابُ الزراعة

ضربة الشجر

(١)

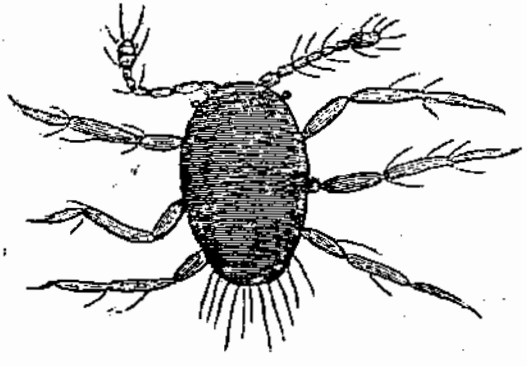

(٢)

انتشر نوع من الحشرات في الاسكندريّة وضواحيها منذ ثلاث سنوات فاضر باشجارها ضررًا شديدًا ولم نسمع ان هذه الحشرات وصلت الى القاهرة ولكننا رأينا بالامس حشرة منها على نبات الفل في الحديقة آلتي امام ادارتنا ولم نجد غيرها وهي مثل الصورة المرسومة في الشكل الاول تمامًا جسمها المتوسط برتقالي اللون سمين جدًّا حتى يكاد يكون كرة مستطيلة ويحيط بهِ زَغب ابيض كثيف وفي اليوم الثاني وُلدت صغارها ولم تكن ترى بالعين الاَّ بعد امعان النظر لشدة صغرها ولكننا نظرنا الى واحدة منها بميكرسكوب يكبر قطر الجسم مئتي ضعف فوجدناها مثل الصورة في الشكل الثاني وجسمها المتوسط برتقالي اللون ايضًا وارجلها الست كارجل السرطان وفي طرف كل رجل منها